

العلمانية والسلفية

كورديتايس - 2006/11/14

تقول الحكمة الكردية: اذا كنت في بلد العميان فيجب ان تغمض عينيك، وهناك مثل آخر عن مطر يصيب بالجنون من يشرب منه، فيحفظ احدهم وعاء ماء كي لا يصيب بالجنون، فيشرب الكل من ماء المطر عدا، الذي يبقى عاقلاً، فيلاقي الامر من مجتمعه المجنون حتى لا يعود قادراً على العيش معهم، فيضطر الى ان يشرب من ماءهم فيصبح مثلهم ويستريح.

كانت (السلفية) شتيمة لا يقبلها اي مثقف ان يوصف بها، لانها تعني فيما تعنيه، انه متهم او مشتوم بالتخلف والرجعية والغباء وتجر العقل وانعدام الفهم، غير مواكب لتطورات العلم والمعرفة والعقل والتحضر والتثقيف والى آخره، وهذا صحيح بكل القياسات المنطقية والعقلية، لان الانسان يتقدم بمرور الزمن وبموجب تقدم العصور والدهور، فالانسان القديم كان مجرد نوع او جنس من الحيوانات، واليوم اصبح ينافس الالهة في قدراته العقلية والفكرية وفي منجزاته العلمية والتكنولوجية، ويزاحمها في علياها ويكشف زيف ادعاءات القدامى عنها.

لكن التطور البشري لم يتقدم بخط مستقيم، بل ذهب الفيلسوف المؤرخ ويل ديورانت صاحب قصة الحضارة الى حد تصور حركة التطور البشري بـ(اللولب) المخروطي، الذي يبدأ بدائرة ضيقة دنيا، فتدور حول نفسها صاعداً ومنتسعا، وبذلك تكون بعض المراحل المتقدمة اقرب الى مراحل اسبق منها الى المرحلة السابقة، ويقول البعض الاخر ان التاريخ يعيد نفسه في بعض المراحل المنحرفة، فتشكل قمة المآسي البشرية.

السلفية تعني الاعتراف باصلحية واصحية السالفين على الحاضرين، وهذا يعني عدم تقدم اللاحقين على السابقين، وهو يعني ايضا ان الحاضرين اللاحقين ليس لم يواكبوا التطور البشري فقط، بل انهم تخلفوا حتى عن السابقين، فاضطروا الى تقليدهم والسير على نهجهم، وهي حالة لا يمكن ان يقبلها اي انسان يحترم نفسه وعقله ومعرفته وانسانيته، ومن يقر بانه سلفي، لا بد انه يقر بعجزه في مواكبة التقدم الطبيعي للبشرية والتحضر والعلم والى آخره، ويقبل التشبه بالحيوانات غير القابلة للتطور مثل البشر الاسوياء، والقضية الى هنا يمكن ان تعتبر طبيعية في اطارها الانساني، لان البشرية تتضمن العلماء والفلاسفة والعابرة والعقلاء الذين يشكلون الرواد والقادة الافذاذ الاقلية، كما تتضمن العاديين الواسطين التابعين للفئة الاولى وهم الاكثرية الساحقة من البشر على مر التاريخ، وكذلك تتضمن البشرية الاغبياء والمتخلفين ومحدودي الادراك والمعتوهين وذوي الطفرات الوراثية المنغولية، نسبة الى المغول اصل الاثراك المتخلفين عقليا والمشوهين خلقيا، لكن الغريب في اية مرحلة من التطور البشري، وفي اية امة او مجتمع، ان تقود الفئة الاخيرة من المعتوهين والمتخلفين وناقصي العقل والادراك، الذين لا يستطيعون مواكبة العصر والانجازات الانسانية التي يبتكرها الفئة الاولى، ولا يستطيعون حتى الانسجام ومواكبة حاضر الاكثرية التابعة للعابرة، لان تبوء هؤلاء المتخلفون المجتمع سعيدهم الاكثرية الى الوراء، وتعمم طفرتها الوراثية الارتدادية على الاكثرية، وهذه قمة المآسات في اي مجتمع واية مرحلة لو حدثت، وهي تجسد اليوم في المجتمعات الاسلامية باسم السلفية، بعد الردة الاسلامية المسماة بصحوة الموت الاسلامية.

السلفيون هم الفئة التي اصطدمت بالتطور الحضاري الكبير الذي انجزه الغرب في العصر الحديث، فاخذت تبحث عن بدائل تنسجم مع قدراتها العقلية والنفسية، لتستطيع الاستمرار على الحياة ولا تنقرض كالديناصورات، فبدأت تفتش في دفاترها القديمة كالتاجر المفلس، ولم تجد شيئا الا في اقدم دفاترها نماذج تجاوزها التاريخ بـ1400 عاما! نماذج ماتت واكل الدهر عليها وشرب حتى تقيأ عليها آلاف المرات، ودون الالتفات الى حقيقة ان لو كانت تلك النماذج صالحة للحياة لما ماتت وانقرضت بحكم التاريخ والتطور، لان كل جديد مبتكر متقدم، لا بد ان يصبح قديما باليا منتهي الصلاحية بمرور الوقت، ابتداءً بالاديان وانتهاءً بالنعال.

وحالة المسلمين اليوم اشبه بمن ابتل بالمطر، فقرر ان يقفز في البركة، وهو لا يجيد السباحة. والعلمانية هي احدى منجزات الفكر البشري الحديث التي توصلت الى طرائق واساليب تتلائم مع العقل البشري الحاضر جنبا الى جنب مع مفاهيم اخرى فكرية وفلسفية وسياسية واجتماعية وغيرها، وهي بالتأكيد مرحلة متقدمة على النظم الدينية التي جاء بها الاسلام قبل 1400 عاما مضت، واستمرت حتى عصر النهضة، التي الغت السلطات المستمدة من كائنات فضائية لم تلد ولم تولد ولم تكن لها كفوا احد، واعادت الكرامة والاعتبار للانسان، الخالق الحقيقي لكل المنجزات والافكار والعقائد والاديان والالهة والشياطين والملائكة وما لف لها، صحيح ان العلمانية والمنظومة الديمقراطية بكليتها ليست الافضل بالمطلق، لكنها افضل ما توصلت اليه البشرية اليها حتى الان، وهي بالتأكيد افضل من الدين الذي توصلت اليه البشرية قبل الاف السنين، كتعويض خيالي صبياني عن العجز في تفسير كثير من الظواهر التي اصبحت اليوم في متناول كل تلاميذ المدارس.

ومن تلك المهازل التاريخية ما قرأتها اليوم في احدى صحف بلاد العميان، هو اتهام السلفيون في البلاد التي امطرت سماؤها مطر الجنون المذكور في بداية هذه الاسطر، اتهامهم العلمانيين بتهمة العلمانية، فلاشك ان البصير تهمة في بلاد العميان، وان العاقل تهمة في بلاد الجنون!؟؟؟؟!!